مجلة العلوم
الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد بوضياف
بالمسيلة

الدلالات النفسية لرتبة الميلاد الصغرى

أ. حوحو عائشة د. خياط خالد جامعة بسكرة

ملخص:

تنتمي هذه الدراسة الميدانية إلى الدراسات العيادية في علم الشخصية. وقد هدفت إلى الكشف عن أهم الدلالات النفسية المميزة لرتبة الميلاد الصغرى، من خلال فحص شخصية الطفل ذو الترتيب الولادي الأصغر. قد طبقت هذه الدراسة على(5) حالات من الأطفال الأصاغر في أسرهم. واعتمدنا المنهج العيادي مستخدمين طريقة دراسة حالة، بتطبيق أدوات عيادية في جمع البيانات (المقابلة العيادية النصف موجهة، اختبار رسم العائلة، اختبار رسم الشجرة). وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- توصلنا إلى أن الحالات التي تم استعراضها في هذه الدراسة كانت نموذجا قريبا جدا من الأطروحات التي صاغها **ألفرد أدلر** حول الدلالات النفسية لوضعية الطفل الأصغر.
- اشتراك حالات الدراسة في أهم الدلالات النفسية والمواقف، حيث عبرت كل حالة عن رغبة شديدة في الاستحواذ على الاهتمام وإحراز مكانة مميزة داخل الأسرة، ما يعبر عن الاستئثار بالذات وقابلية ضعيفة للتعاون. واختارت كل حالة أسلوب معين لبلوغ هذا الهدف، كما أبدت الحالات براعة في لعب دور المتحكم بين القرينات.

الكلمات المفتاحية:

رتبة الميلاد النفسية الصغرى، الدلالات النفسية، تشكيلة الأسرة، الشخصية.

Abstract

This study belongs to clinical studies in personal science. The aim of the study was to reveal the most important characteristics of the youngest child by assessing his personality. This study has been applied to (5) cases of young children in their families. We adopted the clinical approach using a case study method, applying clinical tools in data collection (clinical interview, family drawing test, tree drawing test). The study resulted in the following results:

- We concluded that the cases reviewed in this study were a very close model of psychological characteristics of the youngest child as proposed by alfred adler
- similitude of the cases in the principal characteristics of the personality. every case expressed , where each case expressed a strong desire to acquire attention and achieve a privileged position within the family, which reflects self-preference and weak ability to cooperate. Each case chose a certain method to achieve this goal, and the cases showed a skill in playing the role of leader among comrades.

key words:

Birth Order Youngest , Psychological Signs , Family lineup , Personality

مقدمة:

يتفق علماء النفس المحدثين على أن الطفل ذو شخصية قائمة بذاتها، ويخضع نموه النفسي إلى قوانينه الخاصة، وإلى طبيعة إدراكه لما حوله من متغيرات، خاصة المتعلقة بالأسرة والمدرسة والأقران.و يؤكد **ألفرد أدلر Alfred Adler**على أن " الباحث الذي يعتقد أن كل مميزات الشخصية للشخص البالغ يمكن التعرف عليها سلفا ورؤيتها عند الرضيع منذ مراحل عمره الأولى لم يبتعد عن الحقيقة كثيرا".**(1)**

عموما تشتد رغبة الطفل للانفراد بشخصيته، وكيانه مع بداية مرحلة الطفولة المتوسطة إلى المتأخرة، أين تزداد قابليته للتأثر بالعوامل المحيطة، وتتفتح ميوله واتجاهاته، ويكتسب ألوانا من المعرفة والقيم وأساليب التفكير ومبادئ السلوك. مما يجعل هذه المرحلة العمرية حاسمة في مستقبله وتظل آثارها عميقة في تكوينه مدى العمر.

تتعدد العوامل الأساسية المؤثرة في تشكيل شخصية الطفل ونموها ، وعلى أساسها يتم إعداد الصورة النهائية لكيانه النفسي.هذا البناء يتأثر ببعض المتغيرات الخارجة عن سيطرته والتي تفرض على الطفل تبني موقف محدد من الحياة، كما أنها تجبره على أن يكيف ردود أفعاله تبعا لنوع المشكلات والمواقف التي قد تواجهه. أحد هذه العوامل تشكيلة الأسرة وعلى رأسها رتبة الميلاد النفسية للطفل. وهذا ما سنحاول معرفته من خلال تحديد بعض الدلالات النفسية المرتبطة بإحدى رتب الميلاد المميزة، وهي رتبة الطفل الأصغر بين الإخوة.

إشكالية الدراسة:

في خضم النمو يمر الطفل بمراحل ويعيش وضعيات أو مواقف يكون خلالها أكثر تأثرا ببعض العوامل. وأهم وضعية يجد الطفل نفسه فيها هي تواجده بين أفراد الأسرة، وداخل منظومة محددة. وينبغي التأكيد على أهمية كل فرد من أفراد الأسرة الواحدة ضمن هذا النظام الأسري، وهو ما يطلق عليه **"ألفرد أدلر"** اصطلاح تشكيلة الأسرة. إن هذه التشكيلة تتضمن كافة العناصر الهامة التي يمكن أن تؤثر في نظرة الطفل لذاته، ونظرته للآخرين، وبالتالي تتحد درجة نزعته الاجتماعية، وصولا إلى نظرته إلى الحياة مما يسمح بتحديد هدفه الغائي وسبل العمل على تحقيقه.

يمكن الإشارة إلى العديد من العناصر المكونة لتشكيلة الأسرة، والتي تتولى مهمة التأثير على الطفل وعلى شخصيته بشكل أساسي. لكن في علم النفس الفردي كان الاهتمام منصبا بشكل خاص على الوضع الذي ينشأ فيه الطفل أو رتبة ميلاده النفسية، حيث أوضح **أدلر** هذا الاهتمام من خلال قوله " لقد حاولت كثيرا أن ألفت الأنظار إلى وجوب دراسة الوضع الذي نشأ فيه الفرد، ومعرفة التأثيرات التي تدخلت في تكوينه قبل أن نستطيع الحكم عليه، وأحد هذه التأثيرات المهمة هو وضع الأطفال في الأسرة" **(2)**.

في حديثنا عن هذا التأثير لا تفوتنا الإشارة إلى أن شخصية كل طفل تختلف بحسب الوضع الذي يحتله في البيئة (الأسرة، بالنسبة للطفل)كما أكده قول **أدلر** " الشخصية ما هي إلا موقف نفسي، فهي طبيعة وقيمة وطريقة الفرد في التعامل مع البيئة التي يعيش فيها وهي نمط السلوك الذي يتبعه الفرد في سعيه الحثيث لتحقيق التفوق من خلال شعوره الاجتماعي" **(3)**.

وتقوم الدراسة الحالية على البحث في الدلالات النفسية المميزة الطفل الأصغر في الأسرة، وخصائص هذا الابن بصفته يحتل الموقع الأخير في العائلة. وهذا ما أستدعى فضولنا العلمي وأثار فينا الرغبة في طرح التساؤل التالي:**ماهي الدلالات النفسية لرتبة الميلاد الصغرى؟**

فرضيات الدراسة:

- تتسم رتبة الميلاد الصغرى بدلالات نفسية مميزة .

التعريف الإجرائي للمتغيرات الأساسية للدراسة

1. **رتبة الميلاد النفسية:** عرفها **مناستر**Manasterعلى أنها: "الإحساس الذي يشعره الطفل تجاه كونه البكر أو الأوسط أو الأصغر أو الوحيد بكل ما يعنيه ذلك للطفل".(4)

أما **التعريف الإجرائي لرتبة الميلاد الصغرى**:ونقصد به في هذه الدراسة الفرد الذي يحتل الترتيب الولادي الأخير في أسرته، أي أصغر أبناء الأسرة.

2. **الدلالات النفسيةّ:** ونعني بها السمات النفسية و يشير **كاتل (R. Cattel)** إلى أن السمات هي مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التي تربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد.(5)

أما التعريف الإجرائي للدلالات النفسية:فهي الخصائص، والصفات الشخصية التي يتميز بها الطفل الأصغر، والتي تظهر بشكل إسقاطي من خلال تطبيق الاختبارين النفسيين رسم العائلة ورسم الشجرة.

أهداف الدراسة:

- تحديد بعض الدلالات النفسية المميزة لشخصية الطفل الأصغر.

أهمية الدراسة:

ترتبط أهمية الدراسة بأهدافها، إذ تتمثل أهميتها في أننا نتعرض لموضوع مهم من حيث أنه يعالج مفاهيم قاعدية في علم النفس (الشخصية، ربتة الميلاد النفسية)، إضافة إلى ندرة الدراسات التي تقوم على نظرية علم النفس الفردي "لألفرد أدلر" على المستوى الوطني على الأقل و عليه فتتمثل أهمية هذه الدراسة

الخلفية النظرية للبحث:

1. **تشكيلة الأسرة:**

هو اصطلاح يستخدمه **ألفرد أدلر** وأتباعه لوصف إدراك الطفل لمحيطه الأسري، ومن ثم التأثيرات المركزية والهامة على نمو شخصية الطفل. ويشير **أدلر** إلى أنه ينبغي النظر إلى تشكيلة الأسرة شموليا، لأنها تتضمن كافة جوانب الأسرة التي يمكن أن تؤثر في نظرة الطفل إلى ذاته وإلى العالم وبالتالي الكيفيات التي يشعر أو يدرك بها الطفل

ما ينبغي عليه أن يكونه أو ما ينبغي فعله لتحقيق الانتماء، واتخاذ مكان في العالم، والشعور بالقيمة. (6)

يشمل مفهوم تشكيلة الأسرة خصائص أفرادها واحدا واحدا، و ديناميات علاقاتهم ببعضهم البعض، والتحالفات الأخوية، والمناخ الأسري السائد والقيم الأسرية ورتبة الميلاد النفسية.ويشير "الأدلريون" إلى أنه في كل أسرة ينشأ ما يمكن أن نصطلح عليه مناخا أو جوا أسريا يميز كيفية ارتباط أفراد الأسرة ببعضهم البعض.كما أن ما توليه الأسرة قيمة خاصة يلعب دورا هاما في نمو الأطفال،إذ تفرض على كل طفل أن يتخذ اتجاه هذه القيمة الأسرية موقفا بحسب إدراكه لها. هناك من يتبنى موقف الموالاة ويواصل في الحفاظ على هذه القيمة، وهناك من يعاديها تماما ويعمل على دحضها، والبعض الآخر يتخذ وضع الوسط ويعمل على تعديل هذه القيمة بحسب ما يتلاءم مع (منهاج عيشه) أسلوب حياته. (7)

2. رتبة الميلاد النفسية

لقد حصلت عدة ملابسات حول عادة تصنيف الأطفال حسب موقعهم في المجموعة العائلية. لأن رقم تسلسل الطفل في تتابع الولادات ليس هو الذي يؤثر على الطبع، ولكن الوضعية التي يولد فيها(8).فحسب **شولمان**و **موساك Shulman & Mosack**، رتبة الولادة الزمنية هي ترتيب الأطفال ضمن تسلسل الولادات في الأسرة ؛ أما رتبة الميلاد (الوضعية) النفسية للأطفال فهي الطريقة التي يتموضعون بها أو يدركون بها أنفسهم في البنية الأسرية.(8)

صاغ **أدلر** (1928) بعض الفرضيات العامة حول رتبة الميلاد و تدعمت بالأبحاث بعد ذلك. وأشار أدلر إلى أن منهاج عيش طفل ذي رتبة ميلاد معينة قد يظهر لدى طفل آخر ذي رتبة ولادة مختلفة إن كانت وضعيته في الأسرة مشابهة.(9)

2.1 رتب الميلاد النفسية الأساسية

الطفل البكر: يحتل الابن البكر مكانة فريدة، ويعيش موقفا فريدا، فقد كان الطفل الوحيد لمدة معينة منذ بداية حياته. وقد يعيش خبرة صادمة عند زيادة المولود الثاني،لذلك سيلجأ الى استخدام مختلف الطرق لاسترجاع عهده باستحضار تلك النشاطات القديمة التي جلبت له الاهتمام حتى وإن كانت اهتمامات غير سارة.عموما، يحتمل أن يتحلى هذا الطفل بسمات إيجابية كأن يكون منظم، حامي ونافع للآخرين، كما

قد يحتمل ذلك سمات سلبية كالقلق الشديد، الشعور المبالغ بالقوة كراهية لا واعية شدة الانتقاد للغير، ودائم ادعاء الأحقية على الغير. ويمكن أن يعيش الطفل البكر إحدى الوضعيتين المتناظرتين: وضعية الخلع ووضعية التنصيب.

الطفل الأوسط: هذا الطفل في وضع مغاير تماما، فهو لم يعش أبدا خبرة أن يكون وحيدا. ولن يعيش أبدا خبرة أن يكون مركز الاهتمام لذلك يباشر هذا الطفل الحياة في ظرف أفضل لنمو التكافل والنزعة الاجتماعية. يعيش هذا الطفل حياته في سباق يحدد وتيرته الطفل البكر والطفل الثاني يحاول تجاوزه. ما ينتج عن هذه المنافسة خاضع لدرجة شجاعة الطفلين وثقتهما بنفسيهما. عموما غالبا ما يحتمل أن هذا الطفل يحمل سمات إيجابية متمثلة في شدة الدافعية، التكافل واعتدال التنافس، كما قد يتسم هذا الطفل بسمات أخرى سلبية كسهولة الخوار وشدة التنافس.

الطفل الأصغر: الطفل الأصغر أيضا نمط متميز، لا يعيش صاحبه أبدا خبرة الخلع، هذا الوضع الذي يكون قدرا محتما على بقية الأطفال الآخرين. تبعا لذلك فوضعيته حسنة، وأن الحالة الاقتصادية للعائلة عادة ما تتحسن في أعوامها الأخيرة، يتشارك مع ذلك انضمام بقية الإخوة الأكابر إلى الأولياء تدليل الطفل الأصغر. عموما،صاحب هذه الرتبة كثيرا ما يكون طفلا واقعي الطموح؛ لكن هذا لا يمنع أن قد يكون عكس ذلك، فيفوق طموحه درجة إمكانياته أو جهده المبذول لتحقيق هذا الطموح. كما يحتمل أن يكون هذا الطفل ذو منهاج عيش مدلل تابع للأخرين مما يدفعه لأن يسعى إلى التفوق في كل شيء.

الطفل الأوحد: باعتباره الطفل الوحيد للأسرة سيحتل مركز المحيط دون جهد. هذا الطفل يعيش وضعية تنافسية فريدة، لكن ليس مع الإخوة بل مع الأم والأب،ويحظى بالعيش في جود حميم غالبا ما نجد هذا الوضع يفرض على صاحبه أن يكون ناضج اجتماعيا وهو أمر إيجابي لكن هذا الوضع أيضا قد يساعد على ظهور بعض السمات السلبية كارتفاع مشاعر السمو وانخفاض مشاعر التكافل والإحساس المضخم بالذات.(10)

الوضعيات الاستثنائية:

الذكر الوحيد وسط الإناث: هذا الوضع الاستثنائي يؤمن لصاحبه مستقبلا مليئا بالصعوبات فالبيئة الأنثوية التي يعيش فيها معظم الوقت تجعله يشعر بأنه مختلف عن الجميع وينمو ويتطور في عزلة ويزداد هذا الشعور اعتباطيا مع ازدياد التحالفات الأنثوية

ويزداد بذلك خطر المنافسة عليه.إن هذا الوضع غير محبب على الإطلاق لأن البيئة الأنثوية تختلف تماما عن البيئة المختلطة التي قد يجد بداخلها نماذج مختلفة من الأنماط العلائقية. كما يمكن أن ينمو ذوق الذكر الوحيد وسط الإناث ويتطور بطريقة أنثوية، فتصبح نظرته للحياة نظرة أنثوية أيضا. وإلا فعليه أن يقاوم هذا الجو المحيط به بشدة ويحاول تأكيد رجولته بطريقة مبالغ فيها مما سيكون التوتر في جو الأسرة. في هذه الحال، ينمو منهاج عيشه في اتجاه الاسترجال لإثبات ذاته كرجل.

الأنثى الوحيدة وسط الذكور:إن الأمر نفسه يحدث لصاحبة هذا الوضع إذ أن عليها أن تنمو وتتطور بطريقة رجولية أو أن تستنزف قواها الإبداعية في أن تنمو وتتطور بطريقة أنثوية مبالغة.

الطفل ثاني اثنين: يعتبر هذا الطفل صاحب وضع استثنائي، وذلك لأنه يلعب دورين، أو يشغل رتبتين بدلا من رتبة واحدة، فهو الطفل الثاني بعد البكر، وهو الأخير إذ أن ليس هناك من يلحق به. وقد يشغل هذا الطفل وضعية أخرى إذا ما كانت الفترة التي تفصل بينه وبين الأخ الأكبر فترة طويلة. لذلك هذا الطفل بمثابة الطفل الأوحد.

التوائم: يعيش التوأمان في وضعية خاصة جدا. عادة ما نجدهما لوحدهما يشكلان تشكيلة أسرة مستقلة عن بقية الإخوة. هما يشكلان أسرة وليس مجرد تحالف أخوي. لدى بعض التوائم تظهر المنافسة الأخوية التي نجدها بين الطفل الأكبر والثاني، حيث يحرص الطفل الذي ولد قبل أخيه التوأم بدقائق معدودات على أن يعظم قيمة هذا السبق الزمني الضئيل معتبرا نفسه طفلا بكرا على أخيه. ثم يعيش الاثنان تبعا لذلك نفس وضعية الطفلين البكر والثاني المتسمة بالمنافسة والندية أو غير ذلك. **(11)**

3. وضعية الطفل الأصغر

يفترض **ألفرد أدلر** بأن حالة الطفل الأصغر شديدة الخصوصية، وهناك أدلة لا حصر لها موجودة في الكثير من قصص الأطفال، والأساطير، والقصص المذكورة في الكتب السماوية، وفيها أن الطفل الأصغر يتخذ دائما المظهر نفسه.

الواقع هو أنه في وضع مميز إذ أن جميع أطفال الأسرة لهم من يتبعهم ما عدا الطفل الأصغر، وهذا ما يجعل من الممكن لأي طفل منهم أن يفقد عرشه ما عدا الطفل الأصغر لأنه لا يجد من يتبعه، كما أنه سيجد معاملة مميزة من قبل الوالدين لأنه ليس فقط الأصغر بل إنه الأقل حجما، وبالتالي فهو أكثرهم عجزا، فبقية أطفال العائلة سبقوه في

النمو والتطور والاستقلال النسبي، ولهذا السبب فهو ينشا في جو من الدفيء أكثر من أي طفل آخر من إخوته، ولهذا فانه يطور مجموعة من الخصائص، والمميزات التي تؤثر على شخصيته وموقفه من الحياة. (12)

يتعرض هذا الطفل لقدر عالي من التحفيز بسبب كثرة المنافسة فإنه ينمو، ويتطور بمعدل أعلى من العادي، ويتقدم بسرعة أكبر من الأطفال الآخرين في الأسرة.

إن موقف الطفل الأصغر ثابت منذ فجر التاريخ وسنجد في الأساطير وصفا مفصلا للكيفية التي تمكن بها الأخ الأصغر من التفوق على إخوته وأخواته، مثل ما حدث مع النبي الصديق يوسف عليه السلام، فقد نشأ معظم حياته، وهو يحتل مكانة الطفل الأصغر، هذا لأن بنيامين ولد بعده بسبعة عشر عاما، وأسلوب حياة يوسف الصديق عليه السلام يعتبر مثالا صادقا ونمطيا لأسلوب حياة الطفل الأصغر.

فهو يؤكد، ويحاول دائما إثبات تفوقه حتى في أحلامه فإن الآخرين يجب أن ينحنوا أمامه، لقد كسف بظهوره ضوء جميع إخوته الأكبر منه، ولهذا حاولوا الوقوف أمام تحقيق حلمه، ولكنه أصبح في الأخير عماد العائلة بأكملها.

إن الطفل الأصغر غالبا ما ينجح في لعب دور عميد العائلة، لأنه في وضع يحسد عليه، فالأب والأم يدعمانه والإخوة والأخوات أيضا. ورغم ذلك يبقى الطفل الأصغر أكثر أطفال الأسرة حصدا للمشاكل، والسبب في هذا يكمن في أن العائلة بأكملها كانت تضمن له التدليل، وتتساهل معه، وتشبع جميع رغباته. إن الطفل المدلل لا يستطيع أن يستقل بذاته أبدا، لأن الشجاعة تنقصه ولن يتمكن من تحقيق النجاح بمجهوده الشخصي.(13)

يؤكد **ألفرد أدلر** في كتابه **"L'enfant Difficile" (1930)** على أن وضعية الطفل الأصغر وجه يتميز بجملة من الخصائص الشخصية الموجودة منذ الطفولة المبكرة ولكنها تبرز بشكل واضح أثناء فترة التمدرس، والتي نوجز بالذكر منها:

- ✓ مستوى طموحه عال جدا، وهو دائم البحث عن نقاط قواه، وعن سبل تحقيق طموحه. لذلك **ألفرد أدلر** يمثله بالطبيب الذي يبحث جاهدا من أجل وضع تشخيص دقيق للمرض.
- ✓ هو لا يكتفي بالحث عن نقاط قواه بل إنه يعمل على تطويرها، وهو شجاع، ومندفع ولا يخشى خوض التجارب، والمواقف الجديدة.

- ✓ عطائه لا يضمحل، ولا يزول فهو على استعداد دائم للتطور، والاصلاح من نفسه، وهذه الخاصية تظهر بشكل واضح أثناء الدراسة.
- ✓ إنه طفل يتميز بقوة، ودقة الملاحظة مما يجعله سريع البديهة، ولا يستغرق وقتا في إبداء رأيه، أو إعطاء إجابات لأسئلة معينة.
- ✓ إن نشاطه غير مقتصر على أي مجال فهو يحب التغلغل في مختلف مجالات الحياة لذلك نادرا ما نجده منغلق على نفسه، ويتقدم بسرعة، ويبحث عن الاحتكاك بالعالم الخارجي، ومن هذا نستنتج بأن لديه نشاط اجتماعي أو نزعة اجتماعية عالية، فهو قادر من خلال ذكائه أن يحجز مكانه بسرعة بين الناس.
- ✓ هذا الطفل يضع نصب عينيه هدفا محددا في الحياة يسعى لأجله بشجاعة، ولا يتراجع أبدا، إنه يرى الأشياء بوضوح، وهو شديد الذكاء، لذلك من الصعب انتقاد ما يقوم به.
- ✓ هو طفل يهوى لعب دور العميد، ويفتخر دائما بإنجازاته، هذا الطفل يحب الكتابة والرسم والأعمال اليدوية.
- ✓ يحب لفت انتباه الآخرين لما يقوم به لذلك يسعى لأن يكون مركز الاهتمام، وهو ما يجعله طفلا مثيرا للمشاكل فنجده يحب القراءة بصوت عال، ويحب دفع الآخرين لإزعاجهم.
- ✓ لا يرى هذا الطفل أي مشاكل في إثارة الشغب لأنه قادر على حل نزاعاته بصفة عقلانية، ومقنعة.
- ✓ هذا الطفل يجد السند القوي من أمه التي تسعى دائما إلى إظهاره بصورة إيجابية، ولهذا نجده منفتح على الحياة، يحب المرح، ولا يحب عيش حياة حزينة، ولا يأبه لنتائج ذلك طالما أن هناك من يحميه (الأم).**(14)**

الجانب الميداني:

المنهج والأدوات المعتمدة:

بناء على طبيعة البحث اتبعنا المنهج الإكلينيكي حيث يقوم على دراسة الفرد تحت ضل إشكالية تستدعي التفسير، وذلك اعتمادا على طريقة دراسة الحالة التي تعتبر الوعاء الذي ينظم، ويقيم فيه الإكلينيكي كل المعلومات والنتائج التي تحصل عليها من

العميل، وذلك بواسطة الملاحظة والمقابلة بالإضافة إلى التاريخ الاجتماعي والفحوصات الطبية والاختبارات السيكولوجية، موظفين في ذلك الأدوات العيادية التالية:

* المقابلة العيادية

*الاختبار النفسية (اختبار رسم الشجرة، اختبار رسم العائلة).

حالات الدراسة:

تمثلت في مجموعة أطفال متمدرسين بالمؤسسة التعليمية الابتدائية(5 حالات إناث)حيث توزعت حالات الدراسة على الصفوف التالية:

الصف الرابع ابتدائي: (4 حالات)

الصف الخامس ابتدائي: (حالة)

مناقشة عامة للحالات

في إطار دراسة السمات المميزة لشخصية الطفل الأصغر، وبناء على ما تم التوصل إليه من نتائج حول حالات الدراسة يمكن القول:

إن خصوصية هذا الطفل كامنة في احتلاله الموقع الأخير في الأسرة محتفظا بمرتبة ثابتة لا تتغير أبدا. فهو يتربع على عرش خاتمة الأسرة، ويحظى بمكانة مميزة بشكل من الأشكال دون أن يعيش تجربة الخلع التي أشار إليها **أدلر** كوضعية محتمة على بقية الأبناء، فخلافا لهم سيبقى الطفل الأصغر صغير الأسرة ولن ينافسه أحد أبدا على هذا الوضع.

لقد توصلنا إلى أن الحالات التي تم استعراضها في هذه الدراسة كانت نموذجا قريبا جدا من الأطروحات التي صاغها **ألفرد أدلر** حول الدلالات النفسية لوضعية الطفل الأصغر، منها ما اشتركت فيه جميع الحالات، ومنها ما انفرد به البعض فقط. وذلك عائد إلى خصوصية وضعية كل حالة من جهة، وخصوصية المناخ الأسري الذي يسهم بقسط كبير في التأثيرات التي تعمل على تحديد أهم سمات شخصية الطفل. كما لمسنا أهمية التأثيرات المبكرة في شخصية الطفل خاصة طبيعة الجو الأسري الذي ينمو فيه الطفل.

في هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن الأم التي تأبى توسيع دائرة اهتمامات طفلها، لتشمل الأب وبقية الإخوة وغيرهم من البالغين في المجتمع من حولهم، تتسبب في شعور الطفل أنه مركز الأسرة والمحور الذي تدور حوله وبمجرد تعرضه لمحاولة الخلع من هذا الوضع المميز قد يتعرض لصدمة ويرفض التعاون مع أمه وبقية من حوله، هذا الأمر

سيساهم بشكل أو بآخر في أن يخلق سمات شخصية معينة تميز هذا الطفل عن غيره من الأبناء.

يقول **أدلر**"حتى إنني أجرؤ على القول بأننا لو اقتفينا أثر المشاكل التي تعرض لها المجرمون في قصة حياتهم لوجدنا أنها دائما ما تنتهي بنا في التجارب التي مروا بها خلال الفترات المبكرة من حياتهم الأسرية، إن ما أثر عليهم حقيقة ليس البيئة المحيطة فإن الطفل قد أخطأ في فهم الظروف المحيطة به داخل الأسرة ولم يكن هناك من يشرح له حقيقة ما يجري من حوله".(15)

الدلالات النفسية لرتبة الميلاد الصغرى

إن هذا الطرح الذي قدمه **أدلر** هو نفس ما توصلنا إليه خلال التقييم النفسي لحالات الدراسة حيث اختلفت بعض السمات المميزة لشخصية كل حالة تبعا للظروف الأسرية المحيطة بها سواء تعلق الأمر بتشكيلة الأسرة والمناخ الأسري، أو طبيعة التفاعلات داخلها، خاصة التفاعل الذي يربط بين الأبوين.

كما تأكد لنا أنه إضافة إلى ما أسهمت به البيئة الأسرية من تأثيرات على خصوصية كل حالة على حدا فإن للذكريات الباكرة والأحلام تكشف بشكل صريح موقف الطفل من الحياة وهي أكثر التعبيرات دلالة على شخصيته مثلما أشار إليه **أدلر** في قوله "إن الذكريات الباكرة تحمل قسطا كبيرا من التفسيرات التي تعكس شخصية الفرد إذ أنه يبني أغلب ردود أفعاله ومواقفه ومنهاج عيشه على أساس هذه الذكريات التي يكون لها وقع خاص على نفسه، كما أن استحضار هذه الذكريات يكون غالبا في المواقف الحاسمة في حياته". (16)

لذلك من السهل علينا القول أن إدراك كل حالة للوضع الذي تحتله يعتبر بحد ذاته عاملا حاسما في ظهور سمات مميزة لشخصيتها، وعليه قد انفردت كل حالة بسمات شخصية تعبر عن ذلك، هذا ما عبرت عنه بالشخصيات الكرتونية التي اختارتها خلال المقابلة.

فقد ظهرت بعض نقاط الاختلاف بين السمات المميزة لشخصية كل حالة من حالات الدراسة والتي تحددت باختلاف عاملين أساسيين هما البيئة الأسرية بما فيها المناخ الأسري، وطبيعة التحالفات، والعلاقات من جهة، وإدراك الطفل لهذه البيئة، والتأثيرات التي يتعرض لها داخلها، وبالتالي إدراكه للوضعية التي يحتلها من جهة أخرى.

بحيث اختارت الحالة الأولى إظهار العجز، وإبداء الحاجة للاهتمام، وصعوبة الاستقلال بذاتها، أما الحالة الثانية فقد طابقت وضعها بشخصية كرتونية خيالية عبرت من خلالها على الرغبة في البحث عن الحلول السحرية، والنتيجة السريعة ما يعكس نقصا في الشجاعة لديها.

في حين كان وضع الحالة الثالثة هو الأكثر خصوصية ذلك أنها ذات منهاج عيش مدلل، حيث طابقت بين وضعيتها، وبين الشخصية الكرتونية "سندريلا" التي تعبر عن حياة خيالية لفتاة تعيش حياة بؤس وفجأة تنقلب حالها وتعيش حياة الأحلام بفضل ساحرة، هذا ما أكدته الحالة خلال الذكريات الباكرة التي أشارت فيها إلى استغراقها في الخيال.

أما عن الحالتين الرابعة، والخامسة فقد سمح الجو الأسري المشحون ايجابيا بفرص المنافسة، والنماذج العلائقية الجيدة التي سمحت لكل من الحالتين باستشعار الوضعية الحسنة لهما كطفل أصغر، واستغلال هذا الأمر بشكل ايجابي من خلال ابتغاء السمو، وتحقيق التفوق على بقية الإخوة.

إن هذا الاختلاف لم يمنع اشتراك حالات الدراسة في بعض الخصائص، والمواقف التي تعبر عن ملمح مهم من شخصية الطفل الأصغر، فقد عبرت كل حالة عن رغبة شديدة في الاستحواذ على الاهتمام، وإحراز مكانة مميزة داخل الأسرة، ما يعبر عن الاستئثار بالذات، وقابلية ضعيفة للتعاون، وقد اختارت كل حالة أسلوب معين لبلوغ هذا الهدف.

فقد اتضحت لنا خصوصية هذا الطفل في موضوع الصداقات، حيث اشتركت الحالات فيه بشكل لافت من حيث الرغبة في الاستحواذ على الاهتمام، والحصول على نفس المعاملة التي يحظى بها داخل الأسرة، كما أبدت الحالات براعة في لعب دور القائد بين القرينات سواء كان ذلك في الواقع، وبشكل فعلي، أو في عالم الأحلام الذي لا يبتعد عن الحقيقة كثيرا هذا ما أكده **أدلر** بقوله "إن شخصية الفرد ثابتة لا تتغير سواء كان هذا الفرد في حالة صحو، أو في حالة نوم، ولكن عندما نكون نائمين، فإن ضغوط المتطلبات الاجتماعية تكون أقل حدة، مما يجعل حقيقة الشخصية تتكشف بوضوح، لأن حالة النوم تجعلنا أقل حذرا من حالة اليقظة، كما أنها تجعلنا على استعداد أكثر لإظهار حقيقة نوايانا، وما نحاول إخفائه عن الآخرين".(17)

من بين ملاحظاتنا أن موضوع المنافسة كان حاضرا بقوة في حياة كل الحالات نتيجة ما يعشنه من تحفيز من قبل أفراد الأسرة، وبغض النظر عن نجاح جميعهن في إحراز التفوق على بقية الإخوة يبقى واضحا لنا أن حالات الدراسة عبرن خلال المقابلة بشكل واضح عن المنافسة الشديدة التي يعشنها بشكل يومي داخل العائلة مع بقية الإخوة أو خارجها مع القرينات.

إلى جانب ذلك فقد أبدت الحالات صعوبة شديدة في الاستقلال بذواتهن وحاجة ملحة للسند، والتبعية التامة للأبوين بشكل خاص، وهو ما ظهر بشكل واضح في أحلامهن، وإبدائهن قلقا شديد من إمكانية الانفصال عن أحد الأبوين أو كلاهما.هذا الأمر وصفه **أدلر** بنقص الشجاعة التي يعانيها هذا الطفل نتيجة ما يتعرض له من حماية وتساهل خلال طفولته.

إن التجانس بين نتائج التقييم النفسي للحالات، يعكس موضوعية عالية لنتائج الأدوات العيادية المسخرة في دراسة هذا الموضوع، إضافة إلى ضبط خصائص الحالات بشكل دقيق خاصة أن الحالات يشتركن في الجنس، وينتمين إلى مرحلة الطفولة المتوسطة إلى المتأخرة أو ضمن فئة الطفل المتمدرس.

حيث تعتبر هذه المرحلة أهدأ المراحل من الناحية الانفعالية، ويحدث انتظام الطفل في المدرسة تغيرا كبيرا في سلوكه وعلاقاته الاجتماعية، وهو يشير بكيانه لشخص قائم بذاته، ورغم بطء نموه الجسمي إلا أنه يشعر بالحيوية والرغبة في الانطلاق ويستطيع تحمل التعب كما يستطيع المثابرة ومواصلة العمل.(18)

في نهاية هذه المناقشة يمكن أن نخلص إلى أن ما تم استعراضه من سمات شخصية تعبر عن حالات الدراسة بصفة خاصة، وعن الطريقة التي تدرك بها كل حالة وضعها كطفل أصغر، أما عن السمات الشائعة التي صاغها **ألفرد أدلر**، فليس بالضرورة أنها موجودة عند جميع أبناء آخر العنقود بنفس النسب أو بنفس الأسلوب.

خاتمة:

في ختام هذا المقال العلمي يمكن القول أن علم النفس الفردي فتح المجال أمام البحث عندما بدأ في دراسة أهمية النظرة الشاملة للشخصية ، و فردانية كل شخص بسمات معينة تعكس أسلوب حياته ، و معناها بالنسبة له ، و ذكرياته ، و أحلامه التي تساهم بشكل من الأشكال في تحديد موقفه منها.وقد كان الهدف من هذا المقال العلمي هو استكشاف أهم الدلالات المميزة للطفل الأصغر ،اعتمادا على المنهج الإكلينيكي و باستخدام جملة من الأدوات العيادية بداية باختبار رسم الشجرة الذي اعتمدناه بغية حصر أهم السمات التي تعكس أهم الدلالات النفسية لكل حالة بينما كان استخدام اختبار رسم العائلة لتناسبه مع موضوع البحث ، و للكشف عن بعض السمات و الجوانب البينشخصية التي لا تظهر إلا بوجود أطراف مهمة في حياته ، وهم أفراد العائلة.

جاء استخدام المقابلة نصف الموجهة بغية التقرب من حالات البحث ، و استكشاف أهم التأثيرات المكونة للوضع النفسي الذي نشئن فيه ، و التماس أهم الذكريات و الأحلام الباكرة المكونة لمعنى ، وهدف الحياة بالنسبة لهن.

أما نتائج هذا البحث فقد جاءت مؤكدة على أن هذا الطفل فعلا ذو وضعية خاصة يحظى فيها بمكانة جد مميزة سمحت له بامتلاك سمات معينة تميزه عن بقية أطفال الأسرة ، حيث أكدت النتائج على أن هذا الطفل فعلا ذو شخصية مميزة تبرز سماتها منذ مراحل مبكرة جدا نتيجة ما يحظى به من تحفيز، ودعم سواء من قبل الأبوين أو بقية الإخوة.

كما أظهرت النتائج أن الابن الأصغر يتعلم طرقا التفافية ليبقى في مركز الاهتمام أو ليثبت نفسه بين الإخوة الكبار فتراه يصطنع دور المظلوم ليستعدي والديه على شقيقه أو أشقائه الذين يكبرونه، ولا يخفى أن عامل التضحية الذي يحمله الوالدان المقران بالشفقة هو الذي يهيمن على سلوكهما تجاه الصغار، فتراهما يفردانهما بحب زائد، واهتمام بالغ. و قدا انعكس الوضع المميز و الحسن الذي يحظى به هذا الطفل على شخصيته في أن يصبح أنانياً محباً للاستحواذ على ما يملك الآخرون، ويلازمه هذا السلوك عند الكبر أحيانا فهو دوماً يحاول أن يبقى مميزاً عن الآخرين فيما يحظى به.

الهوامش:

1. Adler Alfred (1927**), Understanding Life**. Oneword publications. Oxford.england.1997.P35
2. ألفرد أدلر.(1931)ترجمة عادل نجيب بشرى. **الطبيعة البشرية** ، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، مصر،2005، ص153.
3. ألفرد أدلر.(1931).ترجمة عادل نجيب بشرى. **معنى الحياة**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، مصر،2005، ص163.
4. **Manaster**, G,J.(2006).**Family Constellation:Meaning,Research and Future Research**. In : **Slavik** , S &**Carlson**, J.(2006).Readings In the Theory Of Individual Psychology.Routledge. New York.2006, Pp298-301.
5. محمد محمد نعيمة.(2002). **التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية** ، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، مصر.
6. خياط خالد.(2014).**(رتبة الميلاد النفسية . مفهوم مركزي في العلاج النفسي الفردي)**. مجلةالعلومالإنسانية،دورية دولية علمية محكمة،العدد36-37،جامعةبسكرة،الجزائر،نوفمبر2014، ص 99.
7. **Manaster**, G,J.(2006), Pp298-301.
8. ألفردأدلر (1929). **العصاب** . ترجمةأحمدالرفاعيوفارسضاهر. داروكتبةالهلال. بيروت. 1982، ص 210.
9. خياط خالد.(2014)، ص 77
10. Adler Alfred. (1937) . **position in family constellation influences life-styl**e ; in slavik ; s ; & carlson **; readings in the theory individual psychology** .routledge ; new york ;2006, P314
11. ألفردأدلر.(2005/1931)، ص ص 188-195.
12. علا سمير المغوش.(2010-2011).**الترتيب الولادي وأثر على التفاعل الاجتماعي والاستقلالية لدى طفل الروضة**، رسالة ماجستير منشورة في رياض الأطفال قسم تربية الطفل ، جامعة دمشق ، سوريا، ص ص20-21.
13. ألفردأدلر.(2005/1931)، ص 153.
14. ألفردأدلر.(2005/1931)، ص ص 194-195.
15. Alfred Adler .(1930) . traduction de l'allemand par herbert schaffer(1949) **; L'enfant Difficile** ;www.uqac.ca, Pp 50-55.

16. Adler Alfred (1927), **Understanding Life**. Oneword publications. Oxford.england.1997, Pp278-279.
17. Alfred Adler .(1930/1949), P50
18. Adler Alfred (1927/1997),P14.